الفصل الرابع

تنمية الاتصال

The Development of Communication

طبيعة المشكلة The Nature of The Problem

تعتبر مشكلات اللغة، والاتصال من الملامح الأساسية للتوحد، ويتسع مدى المهارت اللغوية لدى الأفراد أصحاب التوحد. إذا أخذنا فى الاعتبار متصل التوحد الكامل فإنه يبدو واضحًا أن المشكلة لدى هذه الفئة من الأطفال هى مشكلة الاتصال وليست مشكلة اللغة بمفردها حيث يؤ ثر التوحد أيضا على أنماط الاتصال غير اللفظية. وفى الوقت الذى تكون فيه القدرة اللغوية العامة لدى الأطفال أصحاب عرض اسبرجر جيدة يبقى الاتصال والاستخدام الاجتماعى للغة فقيراً.

والجدير بالذكر أن الأطفال العاديين غير ملتزمين بتطوير عادات الاتصال الخاصة بهم، ولكنهم يتكيفون اجتماعيًا مع النظام الموجود. كما أن الاتصال لديهم يتميز بالشفافية حيث يظهر الطفل نواياه ومقاصده من خلال الاتصال أما أطفال التوحد لا يمكنهم التعرف على الحالات العقلية (الصور الذهنية) الخاصة بهم لذا فإن الاتصال لديهم يتميز بالتعتيم أكثر من الشفافية... وهذا يعنى عدم قدرة أطفال التوحد على المشاركة الاجتماعية أثناء موقف الاتصال وبالتالى عدم وضوح عادات الاتصال لديهم لذا يضطرب الإطار التنموى العادى الذى يجعل الاتصال يسبق نمو اللغة لدى أصحاب التوحد كما تضطرب الوسائل المستخدمة فى تعلم هذا الإطار.

هذا الأمر يزيد من صعوبة اكتساب اللغة (اكتساب المعنى واستخدام التراكيب

اللغـوية) كما يـزيد أيضا من الصـعوبات المرتبطة بالطريقـة التى تسـتخدم اللـغة فى التربية.

هذا وهناك افتراض عام مؤداه أن اللغة المنطوقة تنمو بعد نمو فهم عملية الاتصال، إلا أنه ثبت خطأ هذا الافتراض فى حالة التوحد.

طبيعة الاتصال The Nature of Communication

يجب أن تتـضمن عـملية الاتصـال الناجح الغـرض من الاتصال لذا فـإن عمليـة الاتصال التى لا تتضـمن الهدف أو المقاصد لا تمثل عـملية اتصال ناجحـة مثال ذلك عمليـات الاتصال التى تأخذ شكل ردود الأفـعال النفسية الناجمـة مثلاً من انتـشار الخوف، ومن العـمليات غير الناجـحة ردود الأفعال الاجتـماعية مـثل (تعديل وضع الجسم أو هـيئتـه، وأقتـراب الفرد من الجـمهـور أثناء الحديث، الاتجـاه باهتمـام نحو المتـحدث أو ثنى الذراع للدفـاع عن النفس). كـما تشـمل عـمليات الاتصـال غيـر الناجحـة النقل غيـر الواعى والتقليـد الأعمى للقيم الـثقافـية (مثل:ـ كـيفـية اختـيار الملابس فى المناسبات المختلفة).

وبالطبع يستطيع الفـرد أن يستخدم هذه العلامـات العادية غير الشـعورية بطريقة شعورية من أجل الاتصال ثم تصبح فى النهاية علامات ذات معنى ومقصد وغرض، وتصبح معايير الثقافة التى يمارسهـا الفرد بطريقة لاشعورية فى نهاية المطاف شعورية بعد ممارسـتها عدة مرات. ويشير هذا الافتراض الأخـير مجمـوعة من المشكلات فى التوحـد وبخاصة بالنسـبة لاصحـاب التوحد الأكـثر قدرة والذين يوجـد لديهم فهم خاطىء للتـقاليد الاجـتماعيـة، ونقص فى إدراكها ويشـمل الاتصال عادة «عـلامة» الإشارة إلى الغرض من الاتصال. وحتى الطفل الرضيع فى مـرحلة ما قبل استخدام اللغة يستخـدم العلامة للإشارة للغرض من الاتصال حـيث يكون علامة للإشارة إلى شىء معين يريده. وهكذا يمـكن القول أن الأطفال الرضع يشـيرون إلى الشىء الذى يرغـبون فيـه وباسـتخدام الأصـوات المنغـمة لكى يظهـروا لنا أنهم يرغبـون فى هذا الشىء.

وفى أوقات أخرى تكون غرض الطفل هو مشـاركة الآخرين فى الانتباه وبالتالى

يكون هناك شكل مختلف من التنغيم يصاحب الايماءات لكى يشير إلى غرض اتصال مختلف.

ولكن الغرض فى إحداث تأثير فى سلوك الآخرين لا يكفى للحصول على جوهر الاتصال. فنحن نستطيع أن نتواصل مع الآخرين بدون إحداث تأثيرات فى السلوك بالمرة، ولكن بتأثيرات بسيطة على معتقدات الشخص وانفعالاته.. هذا الفرق يمثل فرقًا أساسيًا عندما نأتى لتأخذ فى الاعتبار الصعوبات النوعية فى الاتصال لدى أصحاب التوحد.. حيث يتعلم فرد التوحد التواصل باستخدام طرق تؤثر فى سلوكيات الآخرين (مثل الالحاح فى طلب) الا أن هذه الطرق لا توضح لنا إلا قليلاً التواصل الذى يؤثر فى الحالات العقلية.

ويظهر لنا هذا النمط من المشكلات مجموعة الظروف والشروط الضرورية لحدوث الاتصال ولقد حدد Chris Kiernen هذه الشروط فى النقاط التالية: -

* محتوى الاتصال (الوعى بحاجات الفرد ومفاهيمه)
* وسائل الاتصال (اللغة المنطوقة أو وسيلة أخرى)
* غرض الاتصال (البيئة التى تستجيب لكل حاجة).

لذا يجب أن يركز تدريس اللغة ومهارات الاتصال للأفراد ذوى الحاجات الخاصة على تدريس هذه الجوانب من الاتصال وأطفال التوحد يمثلون حالات خاصة تحتاج إلى تدريس نوعى إضافى لمساعدتهم على فهم عملية الاتصال نفسها. ومساعدتهم على فهم كيف يمكن تطوير وفهم غرض الاتصال بغض النظر عن المستوى العام للقدرة اللغوية.

مشكلات الاتصال Communication Problems

١.موضوع الاتصال Something to Commnnicate About

هناك نقص واضح فى واحد أو أكثر من المتطلبات الأساسية للاتصال لدى أصحاب التوحد. فهناك نسبة كبيرة من أصحاب التوحد تواجه صعوبات تعلم إضافية الأمر الذى يشير إلى عدم اكتساب أطفال التوحد للعديد من المفاهيم

الضرورية لذا فإنهم لا يستطيعون الحديث عنها. هذا بالإضافة إلى عدم وعى أطفال التوحد بالحاجات الخاصة بهم كما ينقصهم الوعى بحالتهم العقلية، وحالاتهم البدنية.

ومن المعروف أن الأطفال العاديين يصرخون أو يصدرون أصواتًا للتعبير عن عدم الراحة أو عدم السعادة. ولكن سرعان ما تتغير طبيعة هذه الأصوات عندما تزال حالة التوتر الناجمة من عدم الراحة أو عدم السعادة أو عندما يتم الاستجابة لمطالبهم الأمر الذى يشير إلى نمو رغبتهم فى الاتصال. أما أطفال التوحد فيفشلون فى التعرف على تأثير هذه الاصوات على الآخرين ـ الأصوات التى يعبر بها عن عدم الراحة ـ حتى فى المرحلة المبكرة الأمر الذى يعنى عدم تغيير هذه الأصوات للتعبير عن مقاصد وأغراض الاتصال. وهناك دليل على أن الأطفال أصحاب التوحد لا يستخدمون نفس الإشارات التى يستخدمها الأطفال العاديون أو حتى ذوى الاحتياجات الأخرى الخاصة فى المرحلة السابقة للكلام للتعبير عن التحية والمفاجأة أو الطلب أو الاحباط.

ولكن أطفال التوحد يطورون إشارات مختلفة خاصة بهم تختلف عن الإشارات التى يستخدمها البالغون، ومن ثم فإن طفل التوحد لا يفهمه سوى والديه أو المهتمين برعايته.

٢.وسائل الاتصال A Means For Communication

فى المعيار الثانى الخاص بتطور وسائل للاتصال تجد أن مشكلات التعلم الحادة الإضافية، ومشكلات اللغة الخاصة تعنى أن الأفراد أصحاب التوحد لديهم لغة منطوقة قليلة ولقد قدرت الدراسات المختلفة أن نسبة أفراد التوحد التى تظل صامته بدون كلام تتراوح بين (٢٠ ـ ٥٠٪) من جملة أفراد التوحد. والسمة المميزة فى التوحد هى وجود صعوبات فى اكتساب لغةالعلامة، وصعوبات فى استخدام وفهم الايماءات ـ وتساعد الرموز المصورة ووسائل التعلم بمساعدة الكمبيوتر أفراد التوحد فى الوصول إلى وسائل الاتصال ـ ولكن التدريب على لغة العلامة لا تملك ولا تمثل دواءً لكل داء ولكل المشكلات فى التوحد.

٣.الغرض من الاتصال A Reason For Communication

عندما تأتى لغرض الاتصال نقول إن الأفراد أصحاب التوحد توجد لديهم عدة مشكلات ترتبط بالغرض من الاتصال ولقد ظهر من دراسة حالات التوحد فى الماضى و بعض الحالات فى الوقت الحاضر أن الأفراد أصحاب التوحد تتم تربيتهم فى مؤسسات رعاية لا تراعى أولا تمثل حاجاتهم للتواصل وبالتالى لا توجد لديهم فرصة لتطوير غرض التواصل. وبالتالى إذا وجد هؤلاء الأطفال فى مواقف أو مؤسسات تعليمية تراعى حاجاتهم للتواصل فإنه هذا يعمل على اختزال ضغوط التواصل لديهم إلى الصفر.

٤.نقص فهم الاتصال

Lack of Understanding About Communication

يعانى أفراد التوحد من أصحاب عرض اسبرجر ـ وهم أطفال التوحد الأكثر قدرة من اضطراب فى عملية الاتصال رغم عدم ظهور مشكلات الاتصال عليهم. ويبدو للدارس أن هؤلاء الأفراد يمتلكون مهارات الاتصال ولكن تنقصهم معرفة أين وكيف يطبقون هذه المهارات؟ بإختصار هم لا يفهمون موضوع الاتصال.

وهنا نحن نحتاج الى مراجعة الاجزاء الأولى من هذا الكتاب لتعريف الاتصال فلو أعتبرنا أن الاتصال عملية تهدف إلى إحداث تأثير فى الآخرين عندئذ نستطيع أن نقول إننا لا نرى أية مظاهر للفشل فى الاتصال لدى أطفال التوحد أصحاب عرض اسبرجر ذلك لأن العديد منهم يتعلم كيف يتواصل وينقل أفكاره بحيث يؤثر فى الآخرين عن قصد أو غير قصد إلا أنهم يستخدمون عدد محدوداً من الوظائف الاجتماعية بخلاف الأطفال العاديين.

وهناك تحليل آخر يشير إلى أن أطفال التوحد لا يفقدون كل الوظائف الاجتماعية والدليل على ذلك أنه لا يتعلم فقط طلب الأشياء ولكنه يتعلم ايضا النظام الاجتماعى الذى يطلب فيه الأشياء مثال ذلك: ألعاب المطاردة والرعب كما أظهرت الدراسات أن طفل التوحد تنمو لديه الوظائف الاجتماعية التى ترتبط بكيفية التأثير

فى الآخرين وليست الوظائف الاجتماعية التى ترتبط بكيفية التأثير فى حالتهم العقلية مثال ذلك:ـ طفل التوحد يطلب شيئاً ما ولكنه لا يستطيع أن يعلق على هذا الشىء أو ينتقده فعندما ينتقد شيئًا ما أو يعلق عليه فان هذا يثير رغبة المنصت فى التفكير وبالتالى يوجد حالة عقلية لديه عن الموضوع المطروح للمناقشة.

وهكذا يمكن القول أن الغالبية العظمى من أطفال التوحد يوجد لديها مشكلات اتصال متعددة ولكن المشكلات التى يشترك فيها جميع أطفال التوحد هى عدم فهم الحالات العقلية التى ترتبط بموضوع معين.

تدريس الاتصال Teaching About Communication

١.تفسير المعنى Imputing Meaning

يعنى برنامج تدريس الاتصال بالعودة إلى المراحل المبكرة للاتصال حيث يفسر اولياء الأمور المقصد من الاتصال فى ضوء الأشياء التى تحدث فى الواقع، وبذلك ندرس للطفل أو نعلمه ماذا تعنى الأشياء بالنسبة للمقصد من الاتصال.

والجدير بالذكر أن طفل التوحد لا يفقد فقط الخبرات التى توضح له المقصد من عملية الاتصال ولكنه يحتاج أن يعود إلى الذكريات الماضية التى توضح ذلك كما أن التوحد يمثل صعوبة بيولوجية تعنى أن الطفل غير مبرمج لإدراك الإشارات الاجتماعية ذات الصلة بالتواصل أو تبادل الاتصال. وهكذا يمكن القول إنه لا يكفى العودة إلى المراحل المبكرة من النمو مرة أخرى، القضية تكاد أن تكون واضحة لأن أطفال التوحد لا يستطيعون مشاركة الاخرين فى الانتباه بطريقة تلقائية أو بالنظر التلقائى إلى المكان الذى ينظر إليه الآخرون وإلى النظر حتى إلى المكان الذى يشير إليه الآخرون، ولكن أطفال التوحد يمكنهم عمل ذلك إذا تعلموا وتدربوا على هذا.

لذا فإنه يجب على المعلم أن يعى بهذا النمط من التعلم لذا يمكن استخدام العبارة التالية لتحقيق هذا الغرض مثال ذلك: «انظر إلى هذا الشىء الذى أمسك به» وذلك قبل أن نتحدث عن هذا الشىء ويجب على المعلم إلا يفترض أن رفع شىء إلى أعلى يعنى أنه أصبح محل انتباه.

٢. فهم الاستدلالات Understanding Inference

فى نفس الاتجاه السابق يحتاج أطفال التوحد إلى معرفة الطرق المختلفة المستخدمة فى الحديث عن شىء ما كما يحتاجون إلى ملاحظة الإيماءات، وتعبيرات الوجة التى تحمل معان مختلفة وموضع الجسم (والشىء الجدير بالملاحظة هو أن العديد منهم يتعلمون بشكل أفضل من الصوت الميكانيكى للكمبيوتر).

وفى نفس الوقت يمكن زيادة سرعة التعلم الأكاديمى من خلال استخدام التعلم القائم على الكمبيوتر أو التعليمات المكتوبة لأن الطفل لا يستطيع تفسير كل الرسائل المتداخلة التى تنقل خلال الكلام أو الصوت الطبيعى للإنسان. ولكن أغلب الفهم يأتى من الاستنتاجات التى نصنعها عن المعانى التى ينقلها المتحدث أكثر من الاستجابة لمعانى الكلمات.. إلا أن هذه القدرة توجد لدى الأفراد العاديين ولا توجد لدى أصحاب التوحد (العملية الاستنتاجية الطبيعية للمعنى) كما لا توجد لديهم القدرة على إدراك أن الكلمات يمكن أن تملك معانى أخرى تقع خلفها غير المعنى الحرفى للكلمة لذا يجب تدريب أصحاب التوحد على استنتاج المعنى الذى يقع خلف كلام المتحدث الأمر يتطلب صياغة هذه العمليات العادية الظاهرة بشكل محدد ومختصر.

٣- وظائف الاتصال Communicative Functions

تدريس العنوان اللفظى لشىء معين أو تدريس الرموز الدالة على ذلك الشىء لا يؤدى إلى النجاح فى استخدام هذا العنوان الا إذا تم استخدام إثارة لفظية مصاحبة توضح الغرض منه. الأمر الذى يؤدى إلى استخدام أطفال التوحد غير المناسب للعناوين والأفكار أثناء تعلمهم للأحداث والأصوات على أمل وصول الفرد الذى يعطى لهم إثارة لفظية توضح لهم ما المطلوب عمله داخل هذا السياق.

كما يحتاج أطفال التوحد إلى تعلم الكيفية التى تستخدم بها العناونين والأفكار وطريقة فهمها الأمر الذى يشير إلى تعلم وظائف الاتصال. ويمثل تعلم السؤال أو الطلب أفضل وظيفة اتصال يمكن البدء منها لأنها الوظيفة الوحيدة والأولى التى يمكن أن يتعلمها أطفال التوحد ولأن معناها واضح وسهل.

٤.أفضلية الاتصال Giving Communication Priority

يعالج السلوك غير المرغوب فيه فى حالات متعددة كمحاولة للاتصال. فربما يصل الفرد إلى مرحلة تكون فيها (هيجاناته وتوتراته) رد فعل بسيط للحاجة بدون وجود مقصد وغرض للاتصال على وجة الإطلاق لذا يجب على المعلم ان يفسر هذه الهيجانات والتوترات فى ضوء الغرض من الاتصال، ويجب على المعلم أن يعلمه التقاط الأشياء بيده وإذا حاول الفرد صاحب التوحد التقاط الأشياء بيده (أو التقاط يد المعلم ووضعها على الشىء الذى يطلبه) هنا تبدأ عملية تدريب الطفل على الاتصال.

ويمكن تعليم طفل التوحد التوقف عن التقاط يد المعلم ووضعها على الشىء الذى يرغب فيه والنظر إلى المعلم عن طريق مقاطعة طفل التوحد عندما يلتقط يد المعلم بحزم ومنع يده من عمل ذلك حتى يتدرب طفل التوحد على النظر بتلقائية إلى الشىء الذى يرغب فيه. ويمكن تعميم هذا على العديد من السياقات حتى يتعلم طفل التوحد استخدام النظر والاشارة للاشياء التى يرغب فيها بدلاً من الطريقة السابقة. والجدير بالذكر أن عملية تدريس الإشارة كوسيلة لتحديد الشىء الذى نرغب فيه قد يؤدى إلى استخدام الإشارة بطريقة عشوائية أو بطريقة لا تحقق الهدف منها كأن يشير طفل التوحد لشىء معين داخل حجرة ولا يوجد فرد داخل الحجرة لكى يستجيب لتلك الإشارة.

ويرى مؤلفا الكتاب أنه يجب أن يعطى المعلم الأولوية لتعديل سلوك الطفل... ذلك لأن تعليم طفل التوحد الكيفية التى يطلب بها الأشياء الموجودة أمامه وبأدب تساعده على تعلم المعايير الثقافية للسلوك المهذب لذا فإنه يحتاج إلى تعليم الكيفية التى يسأل بها عن شىء معين عندما يكون هناك سبب لذلك. فالشىء الذى يرغب فيه طفل التوحد يجب آن يكون تحت سيطرة شخص ما، ويجب أن يوجه لطفل التوحد سؤالا حتى يحصل على هذا الشىء (مثال ذلك: وضع مفتاح على رف علوى ـ أو فى صندوق مغلق) قبل أن يأخذه طفل التوحد، ويجب على المعلم أن يبتكر العديد من هذه المواقف خلال يوم الدراسة.

مشكلات اتصال خاصة

Specific Problems in Communication

١. المسافة بين المرسل والمستقبل وموضع الجسم

Proxemics And Body Posture

يشير مفهوم proxemics إلى الطريقة التى نضع فيها انفسنا فى علاقة مع الآخرين أى المسافة المريحة الموجودة بين المستقبل والمرسل والتى تمكننا من إدارة الاتصال الفعال. ولكن هذه المسافة تختلف باختلاف درجة الألفة بين المرسل والمستقبل، وتختلف أيضًا بإختلاف المعايير الاجتماعية والثقافية من مجتمع إلى مجتمع آخر.. ومن الواضح أن الأطفال أصحاب التوحد يعانون من صعوبة فى فهم الألفة والمودة Intimacy ويواجهون صعوبات فى إدراك القواعد الاجتماعية الخاصة بالتفاعلات الشخصية واستخدامها. وهذا يمثل مشكلة اجتماعية تعترض الاتصال ولكن عندما يتم تقسيم القواعد الاجتماعية فإن هناك احتمالاً لتحقيق غرض الاتصال. ويعطى الفرد صاحب التوحد إشارات غير عاقلة لما يحتاج أن يعى به وطفل التوحد لا يرحب باقتراب الأقران منه والتحدث فى وجهه ويعتبر هذا نوعًا من التهديد العدوانى وخاصة إذا كان التلميذ يبدو فى وضع التنافس، وذلك كما يفعل العديد من أطفال التوحد الأكثر قدرة..

أما موضع الجسم فيستخدم فى نقل معلومات عن الألفة الشخصية بين الأفراد كما يستخدم أيضًا فى نقل التفاعلات لحظة بلحظة أثناء عمليات تبادل الأفكار والاتصال. ولقد اتضح من الملاحظات العامة للأفراد أصحاب التوحد أن موضع الجسم فى المواقف الاجتماعية يكون شاذاً. ويتوتر الطفل صاحب التوحد عندما يقوم بعمليات ضبط الجسم والتحكم فيه كما أنه لا يستطيع أن يستخدم أوضاع الجسم فى التعبير عن اهتماماته (وهذا يعتبر رد فعل طبيعى للتوتر النفسى الذى ينجم من التفاعل الاجتماعى). كما أن طفل التوحد لا يعبر عن اتجاهاته باستخدام أوضاع الجسم. فعلى سبيل المثال لا يستطيع طفل التوحد أن يومىء برأسه لأبداء الاستحسان، والتشجيع كما تنقصه المهارة فى نقل اهتماماته للآخرين هذا بالاضافة

إلى عدم القدرة على استخدام أوضاع الجسم العادية فى نقل المشاعر حيث إنها تمثل مصدراً آخر للصعوبة بالنسبة لطفل الأوتيزم.

هذا ويستطيع طفل التوحد أن يعبر عن مشاعره الأولية مثل إظهار مشاعر البهجة (بالقفز البسيط للتعبير عن الفرح) والتصفيق للإشارة إلا أنه لا يدرك أشكال التعبير المهذبة لنقل الاستحسان أو السخط للاخرين (مثل تقطيب الجبين، والإيماءة بالرأس) والمشكلة هنا تماثل مشكلة تعليم طفل التوحد للمهارات الاجتماعية بدون الفهم الاجتماعى لها. فمثلاً يتعلم طفل التوحد ترك مسافة ١٨ بوصه (٧٢, ٤٥سم) بينه وبين الآخرين أثناء الاتصال ـ (وهذه المسافة، تكفى لتحقيق أغلب أغراض الاتصال فى الثقافة الإنجليزية) ـ إلا أنه يلتزم بهذه المسافة فى جميع أغراض الاتصال، ولكن عندما يلتزم الطفل بهذه المسافة بشدة، وحتى فى الاتصال مع الوالدين فإن الوالدين يعتبران هذا نوع من رفض طفل التوحد لهم.. لذا فإنه يجب على معلم ذوى الاحتياجات الخاصة أن يراعى مبدأين اساسين عند تدريب طفل التوحد على المسافة المناسبة اثناء الاتصال:

المبدأ الأول:ـ القضاء على أى عائق يمنع طفل التوحد من الاتصال الحميم مع والديه ويمنع تحقيق الاتصال القريب معهم.. ويتم ذلك عن طريق تطبيق برنامج يزيل حساسية طفل التوحد ويجذب انتباهه خطوة/ بخطوة أثناء ممارسته لنشاط ممتع يتكون من خطوات صغيرة بحيث لا يقلق هذا الطفل من اقتراب الوالدين منه.

كما يمكن ايضا لتحقيق نفس الغرض استخدام طرق تشارك طفل التوحد فى ألعاب الأقتحام. وهناك ايضًا طرق تعتمد على الاتصال العلاجى بالموسيقى بحيث تشجع الموسيقى ممارسة الخطوات والمهارات الاجتماعية الحميمة فى التفاعل مع شخص آخر بالغ، ومن ثم نقل الألفة والصداقة إلى عمليات الاتصال الأخرى التى تقع خارج الجلسات العلاجية.

المبدأ الثانى:ـ إيجاد مسافة مريحة لا ترهق طفل التوحد ولا تشعره بالإجهاد أثناء عملية التدريس، وحتى يحدث التعلم الجيد يجب أن نضع فى الاعتبار ظروف المكان الذى يحدث فيه التعلم. هذا ومن الضرورى تقليل الحساسية التى تتولد لدى طفل

التوحد عندما يقترب المعلم منه أثناء عملية التدريس. والمشكلة هنا تمكن فى كيفية تعليم طفل التوحد لاحتمالات اقتراب الآخرين منه أثناء موقف الاتصال بحيث يصبح اقتراب الآخرين منه أمراً طبيعيًا ـ يجب الا يقتصر هذا على المعلم فقط.

ولكى نمكن طفل التوحد من الاتصال بفعالية مع الآخرين يجب أن نعلمه أن اقتراب المعلم منه أثناء التدريس لا يمثل أى خطر بالنسبة له، ولتحقيق هذا الغرض يجب على المعلم أن يدرب تلاميذه على ألعاب الأقتحام والمطاردة بحيث يقترب الأطفال من بعضهم البعض أثناء اللعبة، محاولاً كل منهم الإمساك بالآخر ـ ومن هنا يشعر طفل التوحد أن اقترابه من الآخرين وأقترابهم منه يولد لديه شعوراً بالمتعة.

ويمكن تعليم طفل التوحد قواعد التفاعل الاجتماعى مع الآخرين عن طريق استخدام جهاز الفيديو الذى يعرض للتفاعل بين الأشخاص، ويعرض لاقترابهم من بعضهم البعض أثناء التفاعل الاجتماعى.. ثم نسأل طفل التوحد عن شعوره عندما يقترب من الآخرين ويقتربون منه. وكيف يتوقع شعور الآخرين عندما يقف اقرانهم على مسافة قريبة أو بعيدة منهم.

ويمكن تعليم الوضع الجسدى الذى يجب أن يكون عليه طفل التوحد عن طريق عروض بالفيديو. كما يمكن أن يستفيد المعلم من المواقف الطبيعية لتحقيق هذا الغرض وخاصة المواقف الطبيعية التى يقوم بها التلاميذ العاديون داخل حجرة الدراسة ثم مناقشة وتوضيح هذه الأوضاع الجسدية التى يقوم بها التلاميذ العاديون مع أقرانهم.

٢.فهم إيماءات الاتصال

Understanding Communication Gestures

تتكون إيماءات الاتصال بشكل تلقائى أوتوماتى لدرجة أننا لا ندرك متى نصنع هذه الإيماءات بالفعل الأمر الذى يجعلنا أيضًا لا نأخذ فى اعتبارنا نقص الفهم الموجود لدى أصحاب التوحد لتلك الإيماءات. فالأفراد البالغون قد يعرضون شيئا ما أمام أطفال التوحد ثم يطرحون الاسئلة التالية.

ـ ما هذا الشيء؟

ـ هل يستطيع أحد منكم ان يتحدث عنه؟

وربما لا يدرك هؤلاء الأفراد البالغون إلا عـددًا قليلاً منهم وهو المدرب فى مجال التوحد أن أطفال التوحد لا يستطيعون الربط بين ما يتحدث عنه الشخص البالغ وبين الشيء المعروض أمامهم.

لا ينظر طفل التـوحد إلى الأشيـاء التى تثير اهتـمام العـاديون أو فى نفس الاتجاه الذى ينظر اليه العاديون لكى يشاركهم الانتبـاه. كما أنه لا ينظر إلى شيء معين تشير إليه بإصبـع اليد. ولكنه يمكن أن ينظر إلى شيء معين إذا أستـخدمنا تعليمات مـعينة لهذا الغـرض مثل «أنظر حيث أنظر أنا» ولكنـه ينظر بدون تلقائية.. ونظرًا لأننا غـير مدربين على توقع حدوث مـنظرًا أثناء ركوبنا فى القطار فإننا لا نستطيع أن نسـتخدم تعليـمات واضحـة مثل «انظر حـيث أنظر أنا».. ولكننا نقـول فقط انظر إلى البـقرة! ونتوقع ان يكون طفل التوحـد بطيء فى الاستجابة ومرتبك وغيـر مهتم أو لا يعرف ماذا تعنى كلمـة بقرة Cow.. والتوقع الصحيح هو أن طـفل التوحد ربما لا يفهم أن كلمة «انظر» تعنى «انظر حيث أنظر أنا».

هذا ولا يقتصر الأمر على عدم فهم طفل التـوحد للتعليمات التى تقدم له من قبل الآخرين بل يتعدى ذلك إلى أن الكثيـر من إيماءات وإشارات الاتصال تكون غامضة وغير مفهومة بالنسبة له حيث لا يفسـر طفل التوحد تلك الإيماءات تفسيرًا صحيحًا. فمـثلاً طفل التـوحد لا يفـهم الإشارات والإيماءات التى يسـتخـدمها والـداه لإظهار عطفهـم وحنانهم نحوه ويفـسرها على أنها تمثـل اعتداءات عليـه الأمر الذى يشـعر الوالدين بالحزن والأسى. فعلى سبيل المثـال يفسر طفل التوحد «عناق والديه له على أنه محاولة لخنقه». ويرجع ذلك جزئيًا إلى عـدم فهم طفل التوحد لمقاصد والديه من العناق (إظهـار الحنان) وتبدو الإيماءات التى يسـتخدمـها الأطفـال العاديون بالنسـبة لطفل التوحد كأنها حركـات شاذة أثناء الاتصال (ليس لها هدف أو تأثير)، والسبب هو عدم وعى طفل التوحد بالحالة العقلـية لذلك، وعدم وجود فهم فطرى لديه لهذه الإشارات.

أما الإيماءات والإشارات التى ترتبط بمعنى أو تأثير معين لدى طفل التوحد فانه يتقبلها «مثال ذلك» تقبيل الركبة إشارة مرتبطة بطقوس دينية تعنى أن تقبيل الركبة المجروحة يساعد على شفاء الجرح.. ولكن طفل التوحد لازال يرفض أن يضع والده ذراعه حول كتفه لأن هذا الحركة غير مرتبطة بمعنى أو تأثير معين لديه، ولأنها تحدث احساسًا بدنيًا غير مريح لدى هذا الطفل. الأمر الذى يشعر الوالدين بالحزن والأسى لعدم قدرتهم على مواساة طفلهم وعدم قدرتهم على تطويق كتفية بالأذرع وضمه إلي احضانهم، ولكن يجب أن يفهم الوالدان أن رفض طفل التوحد لهذه الحركة سببه ارتباك الوالدين وطفل التوحد يرفض هذا الارتباك ولا يرفض والديه.

وهكذا يتضح لنا أن طفل التوحد يتقبل إيماءات الاتصال والإشارات التى ترتبط بمعنى وتأثير ومفهوم معين لديه. لذا فإن هذه الإشارات تحتل مكان الصدارة فى مواقف تعليم هذا الطفل. ولكن يجب فى نفس الوقت أن يهتم الوالدين أكثر بتعليمه الإشارات الأخرى الدالة على الحنان والمواساة. فالتعليم المباشر لمعنى الايماءة والإشارة يكون مفيدا جداً وخاصة بالنسبة لأطفال التوحد القادرين على الاتصال اللفظى. حيث يجب أن نعلمهم أن «إشارة تطويق الكتف بالذراع» تعنى أننا نحبه ـ أو أننا نقف معه وندعمه فى حالة حزنه ويمكن تحقيق هذا الغرض عن طريق الشرح الموجز لتلك الإشارات ولو فعلنا ذلك بدقة وبكفاية فإن طفل التوحد سوف يتقبل الإشارة بالتدريج، وربما يطلب من الآخرين ان يضعوا ذراعيهم حول الكتف عندما يشعر بالحاجة إلى ذلك. أما أطفال التوحد الذين يعانون من صعوبات تعلم إضافية فيحتاجون إلى تطبيق برنامج يقدم من خلاله إشارات اللمس والحنان تدريجيًا لطفل التوحد، ويعزز الإشارات التى يفعلها الطفل ويجدها ممتعة.

٣.جذب الانتباه Gaining Attention

يفشل طفل التوحد فى ملاحظة الشيء الذى ينتبه إليه الآخرون إلا إذا تم توجيهه لملاحظة هذا الشيء ويظهر طفل التوحد أيضاً نقصًا واضحًا فى فهم عملية الاتصال حيث إنه يفشل فى جذب انتباه الآخرين للممارسات التى يقوم بها داخل عملية الاتصال.

ومن الأمثلة التى توضح ذلك. مثال لطفلة تذهب عدة مرات إلى حجرة فارغة ولكنها لم تدرك الحقيقة الهامة وهى عدم وجود السكرتيرة فى تلك الحجرة، والمثال الآخر لطفل توحد أقل فى القدرة يشير إلى ما يحتاج إليه ويرسم ذلك أسفل المنضدة وبالتالى لا يرى أحداً طلب هذا الطفل ولا تحدث عملية الاتصال. أى ان طفل التوحد غير قادر على جذب انتباه الآخرين.

ومن هنا يمكن القول أن الكلمات والرموز لدى طفل التوحد لا يستخدمها فى تحقيق اغراض الاتصال مع الآخرين كأنها طقوس يؤديها دون فهم لمعناها Rituals.لذا فإن الخطوة الأولى الهامة هنا هى زيادة وعيهم بان هناك مستمع يرغب فى الاستماع اليهم، وزيادة تدريبهم على استخدام الاستراتيجات المناسبة لجذب انتباه هذا المستمع.

والجدير بالذكر أنه تم استخدام أساليب المناداة Vocatives واللمس لتدريب هذا الطفل على جذب الانتباه للآخرين من خلال قواعد مختلفة للتعزير إلا أن هذه الأساليب حققت نجاحات محدودة. وفى هذا المدخل اتضح أن محاولات طفل التوحد لمخاطبة الآخرين بدون جذب انتباههم من البداية (مثال ذلك طفل توحد يبدأ فى الحديث بدون النظر الى المستمع أو التلميح له وبدون توجيه الخطاب له) أدى إلى تجاهل المستمع لحديثه وعدم الانتباه إليه وأفضل طريقة لعلاج ذلك هو التعليق على رسالة طفل التوحد بالتعليقات التالية: هل تحدثنى؟ ولكنك لم تنادينى؟ ولم تنظر حتى إلىَّ؟ ولذلك لم اعرف انك توجه الخطاب إلىَّ.

واشارت النتائج بعد ممارسة هذه التعليقات إلى تنمية قدرة طفل التوحد على جذب انتباه الآخرين فى مواقف الاتصال. إلا انه غير قادر على تعميم ذلك فى مواقف أخرى.

ويحتاج طفل التوحد الأقل قدرة على التعلم إلى استخدام استراتيجيات جذب انتباه الآخرين.. كما يجب تدريبه على الربط بين هذه الاستراتجيات وبين نتائج استخدامها من خلال استخدام تعليقات تحقق هذا الغرض مثل «جيد أنت تشير إلى التفاح وعندما تشير جيداً إلى ما تريده فاننى أستطيع أن أعرف ماذا تريد».. ويجب

تجنب استخدام الضرب كوسيلة لجذب الانتباه. والجدير بالذكر أن طفل التوحد يستطيع فى بعض الحالات أن يجذب انتباه الآخرين ولكنه لا يستطيع أن يعبر عن ما يريده لذا فإن الطفل فى هذه الحالة يحتاج إلى تعلم كيفية التعبير عن وظائف الاتصال المختلفة مثل «الطلب Request»، والتعليق Comment والتعبير عن الوقت الذى يستخدم فيه هذه الوظائف.

٤.فهم القصص السردية Understanding Narratives

يواجه الأفراد اصحاب التوحد صعوبة خاصة فى سرد القصة، سواء كانت قصة خيالية أو قصة واقعية حيث لا يستطيع تذكر الملامح الأساسية أثناء تطور القصة. كما تواجه عملية فهم القصة مشكلات أخرى لكن الاستراتيجية الوحيدة التى يستخدمها هذا الطفل هنا هى استداعاء الأفكار لفظيًا.

وجزء من المشكلات الخاصة بفهم القصص لدى أصحاب التوحد يرتبط ببناء الهيكل السردى المتتابع للقصة، والذى ينشأ من فشل صاحب التوحد فى تكوين نموذج أو صورة عقلية عن الأدوار والشخصيات المختلفة فى الحديث ودلالات الألفاظ. كما يفقد الطفل القدرة على الإشارة للمستقبل باستخدام الضمائر المكررة لذا فإنه من غير المفاجأ أن ينحرف عن مسار القصة التى يتحدث عنها وهكذا فإن موقف حياة أو قصة تأخذ فيها «السيدة جونز» الشخصية الرئيسية يتطلب من المنصت أن يقيم ويركب دوراً لفظياً (ضمير) عن هذه الشخصية باستخدام الصفات التالية «آنثى ـ واحدة» ويشار لذلك بالضمير «هى» فى النص وهى السيدة جونز وبحيث يكون المنصت قادراً على فهم ذلك.

والفشل فى عمل هذا يعنى أن طفل التوحد لا يستطيع عمل معنى عن القصة السردية نظراً لعدم وجود شخصية رئيسية عن الموضوع الذى تتحدث عنه أحداث الموقف. ومن ثم تفقد القصة السردية تتابعها. ولقد اشارت الدلائل البحثية إلى أن الأفراد أصحاب التوحد يمكنهم فهم الضمائر المتكررة فى الجمل وذلك فى حالة ذكر الاسم بالكامل مع الضمير فى نفس الجملة ولكن هذه الطريقة لا تمكنهم من الانصات الفعال أى لا يستطيع طفل التوحد تكوين معنى لفظى عن الأدوار الموجودة فى القصة داخل حدود الجملة. ويفشل طفل التوحد أيضًا فى جعل المنصت له

يحتفظ بمسار واتجاه الحديث ومن ثم فهو لا يعطى علامات تساعد المنصت على الرجوع إلى مسار الحديث الذى يتحدث عنه. وكما أقترح سابقًا فإن المهارات اللغوية التى ترتبط بالحديث (مثل أستخدام الضمائر) يجب أن تتبع المسار التنموى العادى وتناسب مستوى القدرة اللغوية للطفل.

ولكى نتحدث عن المواقف الماضية يحتاج الطفل إلى فهم الكيفية التى يتم بها تركيب القصص كما يحتاج إلى إثارة الذاكرة الشخصية لاستدعاء الأحداث (انظر الفصل السادس).

فالطفل العادى الذى ينمو بشكل طبيعى يكتسب مهارة الحديث عن المواقف الماضية من خلال الاسئلة الماهرة المركبة التى يطرحها والداه، فى مرحلة ما قبل المدرسة والتى تبنى قنطرة يمكن من خلالها اختيار الإجابة وبمرور الوقت يتم استدخال هذه المعلومات فى ذات طفل التوحد ليكون إطاره الدلالى، وتنمو لديه القدرة على تحديد نوع المعلومات التى يحتاجها الآخرون فى سرد قصة. الا إن أطفال التوحد لا يستطيعون ذلك بسبب الصعوبات الاجتماعية وصعوبات الاتصال التى تواجههم لذا فإن أطفال التوحد نادرًا ما يتعرضون لمثل هذا النوع من التعلم المركب عن سرد القصص. ومرة أخرى فإن أطفال التوحد لا يستطيعون اكتساب المهارات المناسبة بسبب نقص الفرص والصعوبات التى تواجههم.

ويتعلم أطفال التوحد بشكل أفضل تركيب القصص السردية (الأحداث الشخصية، الأحداث الفعلية التى تخص الآخرين والأحداث الخيالية أيضًا) من خلال عملية تحليل القصص.

ويمكن تحقيق هذا الغرض بسهولة أكثر عندما يمتلك الطفل مهارات كافية للغة المنطوقة (واللغة المكتوبة) الأمر الذى يساعد الطفل على إظهار العناصر التركيبية للقصة بشكل منظومى، ولكن يمكن تنمية قدرة الطفل على تركيب القصة (طفل التوحد ـ غير اللفظى) من خلال استخدام الصور والصور الفوتوغرافية. وتتلخص الأهداف الهامة هنا فى مساعدة أطفال التوحد على إدراك الإطار الكلى للقصة، ومساعدتهم على استخدام هذا التركيب فى إعادة سرد القصص باسلوبهم الخاص.

ويمكن للوالدين والمعلمين أن يشرعوا فى تلك العملية بتخصيص وقت بعد كل حدث (مثل الذهاب للتسوق أو تناول وجبة) يقوم فيه الطفل بالتعبير عما حدث فى هذا الموقف. وهذا يعنى بالنسبة للأطفال ذوى القدرة اللفظية أن نجعلهم يتحدثون عن الأشياء التى حدثت فقط، ونجعلهم يتذكرون مشاعرهم تجاه ما حدث. وهذا الأمر يمثل صعوبة كبيرة بالنسبة لطفل التوحد الذى توجد لديه مشكلات فى تذكر انفعالاته وإدراكها. ولكن من الهام هنا أن نحاول تطوير هذه القدرة التقويمية نظراً لأن الذاكرة الخاصة بالأحداث الشخصية تعتمد على هذا المكون العاطفى للذاكرة.

بالطبع فإن الفهم الكامل للقصص السردية لا يرتبط فقط بفهم الإطار التركيبى للقصة بل يختص أيضًا بفهم محتوى القصة وهذا يشمل فهم الأفراد، وتعتمد القصص الخيالية على فهم واقعية ومقاصد الشخصيات الموجود فى القصة وهذا يعتمد بدوره على فهم الطفل للعالم الحقيقى الخاص بتلك الصور العقلية.

وكما لاحظنا.. فإنه فى أحسن الأحوال يوجد لدى طفل التوحد نقص فى الفهم، وفى أسوأ الحالات يكون لديه عدم وعى بالحالات العقلية بالمرة.

ويزود العالم الحقيقى أطفال التوحد بفرص حقيقة لفهم المظاهر السلوكية لبعض الحالات العقلية (الصور الذهنية، الابتسام عندما يكون سعيدًا ـ البكاء عندما يكون حزينًا) ولكن القصص التى نقرأها أو نسردها نادراً ما تعطى مثل هذه الأوصاف السلوكية للمشاركين. وبهذا يسلب الطفل من المصدر الرئيسى للفهم، والتنبؤ بالسلوك وبدلاً من ذلك نعطى الطفل عبارات تصف الحالات العقلية لا تملك معنى بالمرة أو تملك معنى قليلاً.

لذا فإنه من الأفضل أن نبدأ بالقصص التى تحكى مواقف من الحياة الواقعية حتى تكون هناك فرصة حقيقية تمكن الطفل من تطوير بعض الفهم عن الأسباب، ،الكيفية التى يتصرف بها الأفراد أثناء إنجاز عمل ما من خلال تحليل سلوكياتهم فى القصة. ومن الجدير بالملاحظة أنه عندما يوجد اهتمام لدى أفراد التوحد الأكثر قدرة بالخيال فإنه سوف يكون اهتمام بالخيال العلمى.

وفى هذا الصدد يبتكر المؤلفان مخلوقات شاذة غريبة لا تنطبق عليها الإدراك

الإنسانى العادى للسلوك وبالتالى فإن صاحب التوحد لا توجد لديه قدرة ترتبط بفهم سلوك هذه المخلوقات الغريبة والتنبؤ به.

وفى النهاية يحتاج المعلم إلى تطوير طرق لمساعدة الأطفال أصحاب التوحد على إنتاج نماذج عقلية لأنفسهم، رغم أن السلوك العقلى أمر يصعب إثارته ومراقبته.

إلا أن أحد الطرق المهمة لبدء هذه العملية تتم من خلال استخدام الأغانى (أو إستخدام القوافى إلا أن تأثير الأغانى يكون أقوى).. ويستطيع الأطفال تعلم أغنية حتى يمكنهم أداء هذه الأغنية لانفسهم وعندئذ وخطوة خطوة تحذف الكلمات من الأغنية ويوضع بدلاً منها الإيماءات.. ويحتاج الأطفال عندئذ حفظ الكلمات التى تم حذفها فى أذهانهم حتى يمكن إعادة ربط الأغنية فى الموضع الصحيح. وتساعدهم قوافى الأغنية على تحصيل هذا كما تعطيهم خبرة أكثر فى التفكير وبأسهل طريقة.

منهج الاتصال A Communication Curriculum

١. الحاجة للنظم البديلة القابلة للزيادة

The Need For Alternative & Augmentative Systems

يصاحب التوحد باستمرار العديد من مشكلات النمو الإضافية التى تؤثر على اللغة.. ففى بعض الحالات توجد إعاقات لغوية نوعية إضافية وهذا يتجلى بوضوح لدى أطفال التوحد الذين يفقدون القدرة على الكلام فى مواقف الحياة إلا أنهم يملكون مهارات اتصال غير لفظية.

وفى حالات متعددة توجد هناك مشكلات تعلم إضافية حادة تؤدى إلى تأخر نمو اللغة أو إعاقتها. هذا وعندما يصاحب مشكلات التعلم الإضافية السابقة مشكلات فى الاتصال الناجمة من التوحد (التى تعوق الطفل من تعلم اللغة) وأية مشكلات لغوية أخرى فإن النتيجة هى زيادة تفاقم مشكلة تعلم اللغة.

وتتمثل أهمية اللغة لدى الطفل فى كونها مؤشراً يمكن استخدامه فى التنبؤ بالنمو الاجتماعى والتربوى للطفل فى المستقبل ومؤشر هام يستخدم فى التنبؤ بنوعية الحياة التى يمارسها الطفل. وهكذا يتضح أنه من الأهمية بمكان أن تركز التربية على استحداث لغة بديلة لأصحاب التوحد غير القادرين على اكتساب مهارات الكلام.

إلا أنه لا تزال هناك صعوبة ترتبط بتحديد الموعد الذى نحصل فيه على النظام البديل للكلام وترتبط بتحديد أى هذه النظم البديلة هى الأفضل.

وفى المقام الأول عندما نتخلى عن اللغة المنطوقة فإن الإجابة القصيرة يجب ألا تستخدم ولكن هذا لا يعنى عدم تعلم النظم الأخرى. ولقد اتضح أنه اذا لم يتحدث الأطفال عند عمر ١٣ عامًا فإن فرصة نطق هؤلاء الأطفال فيما بعد تكون محدودة. ولكن هناك حالة فردية تدحض النتيجة العامة وتقدم خطوطا مرشدة.. ومن المهم تجريب البدائل الأخرى قبل انتظار الفشل الكامل وفى البداية فإن الأنماط الأخرى للبدائل تستخدم كوسائل لزيادة الحديث على أمل أنها تحقق أهداف الفهم والنمو، وألا تكون بدائل لغة منطوقة.

وهناك بعض الأدلة التى تشير إلى أن صعوبة استقبال أطفال التوحد للمعلومات من أكثر من قناة فى نفس الوقت، وهذا يفرض على المعلم استخدام أشكال بديلة للاتصال، وهذه الأدلة تقترح على المدرسين عدم تعليم أشكال الاتصال البديلة جنبًا إلى جنب مع اللغة المنطوقة. إلا أن هناك بعض الأدلة تشير إلى أن تعليم الأشكال البديلة للاتصال يجب أن يصاحب تعليم الكلام لأن هذا يساهم فى تنمية المهارات.

وأشارت هذه النتائج إلى أن فصل تعليم أشكال الاتصال البديلة عن تعليم الكلام لا يساهم فى تطوير اللغة لدى أطفال التوحد إلا إذا كانت هناك جلسات إضافية لتعليم الكلام.

ولقد اقترحت الدراسات السابقة أن الكلام لا يتطور لدى الأفراد أصحاب التوحد خلال مصاحبة تعليم الكلام/ لتعليم الإشارات فقط بل ينمو الكلام إذا تم استخدام فترات تدريب إضافية بعد مصاحبة تعليم الكلام/ لتعليم الإشارات. والبعض الآخر من الدراسات أشار إلى أن الكلام لا ينمو من خلال التدريب على الإشارات.. ففى أحدى الدراسات الطولية التى تضمنت عشرة أطفال تتجاوز أعمارهم الـ ١٨ شهراً استطاع عدد من الأطفال قليل أن يتحدث أثناء الدراسة بواسطة أحد الباحثين ولكن أشارت الدراسة إلى أنه لا توجد علاقة بين هذا وبين عدد الإشارات المكتسبة أو المستخدمة، فبعض الأطفال اكتسب كلمات أكثر من ٣٠٠ بدون القدرة على الكلام.

٢.اختيار نظام الاتصال

Choosing A System of Communication

يتمثل الهدف الرئيسى هنا فى تنمية القدرة على الاتصال، وهذا يمكن تحقيقه بالمعنى الكامل إذا امتلك الفرد وسائل الاتصال. ويرغب العديد من أولياء الأمور والمربين فى تنمية قدرة أطفال التوحد على استخدام اللغة المنطوقة فى الاتصال (وإن أمكن يرغبون أيضًا فى استخدام فى اللغة المكتوبة) والتى يتحدث بها المجتمع. أى أن وسائل الاتصال تساهم فى تحقيق أغراض الاتصال السهل مع الأسرة والمجتمع الكبير، كما تساهم وسائل الاتصال المنطوقة والمكتوبة فى الوصول إلى كل أشكال التعليم، ومواد الثقافة. بالإضافة إلى قدرتها على دمج الفرد مع المجتمع الذى يعيش فيه وهكذا يمكن القول أن الأغراض السابقة تتلخص فى تطوير مهارات اللغة المنطوقة والاتصال. كما هو واضح فان هذا لا يمثل اغراضًا عملية طويلة المدى لكل الأفراد.

وتعتمد عملية الإختيار المناسب لنظام الاتصال على الفرد وعلى سياق التدريس. فالمعلم وولى الأمر لا يمكنه أن يبنى القرار على الوسيلة التى يفضلها الطفل (الرؤية على سبيل المثال) دون أن نأخذ بيئة الاتصال فى الاعتبار. ومن غير الحكمة ان يبتكر المعلم فى المدرسة برامج اتصال فردية لكل طفل معتمدًا على المبدأ الدال على أن كل طفل يستخدم نظامه اللغوى بشكل أفضل والمناسب لوظائفه الفيزيقية واللغوية والمعرفية. لذا فإنه يجب بناء برنامج اتصال يمثل النظام المشترك لجميع الأطفال. ويمثل النظام المشترك جوهر الاتصال وبينما توجد بعض الاختلافات الفردية داخل الصف أو فى الاسرة يجب أن يكون هناك نظام واضح ومفهوم يستخدمه جميع أعضاء مجموعة الاتصال.

٣.تعلم لغة الإشارة The Teaching of Sign

تقوم لغة العلامة أو الإشارة بدور هام فى تعليم الأطفال أصحاب الأوتيزم. إلا أن تدريس الإشارة أو العلامة بالنسبة لهذه الفئة من الأطفال لا يعتبر دواءً لجميع مشكلات الاتصال Panacea التى يعانى منها أطفال هذه الفئة، ولقد سجلت الخبرة

فى مجال تعليم الإشارة لأصحاب التوحد العديد من الفوائد والعديد من العيوب يعرض لها فيما يلى.

الفوائد الكامنة

* تزود لغة الإشارة الأفراد غير القادرين على الكلام Mute بوسائل وطرق بديلة تمكنهم من الاتصال بالآخرين.
* توفر عملية استخدام لغة الإشارة الكثير من الوسائل اللازمة لتبادل الأفكار التى تستخدم فى فهم الاتصال نفسه وفهم اللغة المنطوقة المصاحبة للإشارة.
* استخدام لغة الإشارة غير المألوفة يجعل المعلم يميل إلى تقليل معدل اللغة المنطوقة المصاحبة ويقتصر على استخدام المفاهيم المحورية فى الاتصال.
* تعتبر عملية استخدام الإشارة أو بديلها فى الاتصال احد الطرق الملموسة التى تساعد التلميذ المتحدث صاحب التوحد على مراعاة احتياجات المستمع أثناء الحوار.

العيوب التى تظهر عند استخدام لغة الإشارة أو العلامة

* عندما يستخدم أطفال التوحد الإشارة كبديل للتحدث فإن هذا يحد من قدرة الطفل على الاتصال بالبيئة الأمر الذى يؤدى إلى فشل أصحاب التوحد فى تطوير مهارات التحدث، وظهور مشكلات أخرى ترتبط باكتساب اللغة، ومن ثم يصبح طفل التوحد غير قادر على الارتباط بالآخرين - وتصبح إشاراته غير مفهومة وغامضة للآخرين داخل العديد من المدارس، ويظل العدد الذى يستخدم الإشارات فيها بمهارة قليلاً.
* إستخدام الإشارة أو العلامة كوسيلة مصاحبة للكلام ربما يساعد على فهم الكلام، ويجعل بعض وظائف الاتصال واضحة، الا أن الطريقة التى يتم استخدامها فى تعليم الإشارات تتسم بمستوى أقل فى التلقائية والمرونة بين المدرسين الأمر الذى يعنى عدم تعرض أطفال التوحد لنماذج جيدة تشرح لهم كيفية استخدام الإشارة أو العلامة فى مواقف الاتصال الحقيقية، ومن ثم تصبح

عملية استخدام الإشارات والعلامات استجابة لا معنى لها تحتاج إلى دراسة ومراجعة.

* تؤثر نقص الطلاقة والمرونة فى العلامة أو الإشارة على عملية توصيل الحديث للاخرين. الأمر الذى لا يساعد فى تحقيق الإشارة أو العلامة لأغراض الاتصال، وبالتالى والفشل فى استخدام أىٍّ إيماءات أخرى مصاحبة.

* فقدت العلامة أو الإشارة غر ضها الذى يتمثل فى مساعدة الطفل على التركيز فى حاجات المستمع.

وأخيراً يمكن القول إنه يجب تدريس لغة الإشارة باستمرار لكل التلاميذ فى المدرسة بحيث ترتبط الإشارة بنظام من الصور الموضحة لها. مما يجعل الإشارة أكثر وضوحًا للتلاميذ الأقل فى الخبرة. أو يجب على الأقل ربط الإشارة ببطاقات رمزية. ويجب تقديم الاشارة أو العلامة داخل سياق الكلام، واستخدامها فى تلبية الاحتياجات الحقيقية للاتصال.

٤.استخدام استجابات التلميذ الخاصة

Using The Pupils Own Responses

تركز أغلب علوم البيان أو اللغة فى تعليم التلاميذ أصحاب التوحد على استخدام مداخل «التدريس المتمركزة حول الطفل». ولتعليم اللغة وتطوير قدرة أطفال التوحد على الاتصال تبدأ عمليات الاتصال مع أصحاب التوحد بتفسير التعبيرات غير اللفظية لهؤلاء الأطفال.

وهناك بعض الدلائل البحثية التى تشير إلى فعالية مداخل تدريس الأطفال أصحاب التوحد مثل أثر مداخل تقليد سلوكيات الطفل التلقائية فى تركيز انتباة أطفال التوحد مع الآخرين، وبالتالى تعديل سلوك أصحاب التوحد وتفيد هذه المداخل فى اثارة عملية الاتصال لدى التلاميذ الذين لا يملكون أية وسائل أخرى للاتصال ويحتاجون البدء من لا شىء. ولكن المبدأ هو أنه يكون من المفيد تطبيق هذه المداخل للتلاميذ ذوى القدرة الأعلى والذى يمتلكون درجة من المهارات اللغوية، ولكن قدرتهم على الاتصال لاتزال ضعيفة.

وسيتضح لنا فى الفصول القادمة من هذا الكتاب أهمية استخدام Echolalia (ترديد الأحداث الماضية) فى تطوير عملية الاتصال والجوانب الأخرى للاتصال. حيث إن عملية ترديد طفل التوحد لأحداث الماضى Echolalia تملك مقصداً أو غرضًا اتصاليًا فى أغلب الحالات، وبعيداً عن محاولة كبت استجابة الطفل يجب علينا أن نبنى على تلك الاستجابة لكى تطور الجوانب الأخرى الاتصال.

ويمكن تطبيق نفس المبدأ على الاستخدامات الأخرى للغة ـ غير الاتصال ويجب علينا أن نبحث عن مقصد للاتصال يفسر تلك الاستخدامات ـ واذا نظرنا إلى السلوك اللغوى لتلاميذ التوحد فى ضوء الصعوبات الأساسية لديهم والخاصة بالاتصال والتى تمت مناقشتها سابقًا، واذا تذكرنا المشكلات الناجمة من الاستخدامات التربوية للغة عندئذ نجد أنفسنا أننا نحتاج إلى تطوير مداخل تدريس تهدف إلى تسهيل الاتصال أكثر من إنتاج السلوك.

٤.التدريس عن الاتصال

Teaching About Communication

توضح برامج TEACCH الأبعاد المختلفة التى يجب أن نأخذها فى الاعتبار عندما ندرس مهارات الاتصال وتؤكد على أهمية تدريس كل بعد من هذه الأبعاد فى وقت منفصل. ويحتاج تدريس اللغة للأفراد أصحاب التوحد إلى التحرك بعيداً عن الأساليب القديمة فى تدريس مفردات الكلمات Vocabulary (سواء الكلمة أو العلامة) بحيث يركز تدريس اللغة على تدريس التعبيرات اللغوية المركبة مثال ذلك: التركيز على تدريس الأشكال اللغوية، والكلمات من أجل الاتصال فقط. ففى هذه الحالة لا نحتاج إلى تعليم الأفراد الوسائل التى نستخدمها فى الاتصال مع الآخرين ولكننا نحتاج الى تعليمه ماهية الاتصال كعملية من خلال التدريس التخصصى.

ويهدف التدريس التخصصى على الأقل إلى تركيز الانتباه على بعد السياق بالإضافة إلى تركيز الأنتباه على أبعاد الشكل ومفردات الكلمة.. وفى هذه الحالة فإن التدريس التحصصى يأخذ فى اعتباره أن تدريس شىء ما دخل سياق واحد لا يعنى أن تلاميذ التوحد سوف يمتلكون نفس هذه المهارة فى موقف آخر ومع شخص آخر.

وتراعى البرامج هذا بواسطة استخدام التدريس فى السياق الوظيفى الذى يعتمد على تطبيق واستخدام السلوك أو تدريس تعميم المهارة.

وهكذا يمكن القول إنه يجب تدريس أبعاد الشكل، ومفردات الكلمات Vocabullary والسياق. بالإضافة إلى تدريس البعدين الآخرين وهما:ـ بعد دلالات الألفاظ Semantic، وبعد وظائف الاتصال.

ويجد أغلب المعلمين صعوبة بالغة فى فصل هذين البعدين نظريًا، وفى التطبيق تصبح عملية فصل هذين البعدين عملية غير أساسية. ونحن حقيقة نتحدث فقط عن بعد واحد مفقود من هذين البعدين وهو البعد الذى يحدد الصعوبة فى التوحد. وهو البعد المختص بعملية الاتصال ذاتها. والسبب الذى يجعلنا نتجاهل هذا البعد ـ كنه ومادة الاتصال ـ فى التدريس. أى أن الاتصال جزء طبيعى من المواقف الاجتماعية العادية التى لا يمكن عزلها كبعد أو التى نجد صعوبة فى عزلها وصعوبة فى التفكير فى تدريسه.

ومن الملاحظات التدريسية الأخرى الهامة التى يجب أن نتذكرها هى أنه من غير المحتمل أن ننجح فى التدريس إذا قمنا بتدريس أكثر من بعد فى نفس الوقت. إلا أننا نستطيع أن نتنازل عن ذلك المبدأ (تدريس البعدين فى نفس الوقت) ذلك نظرًا لأن بعد الاتصال يمثل جزءًا طبيعيًا فى مواقف الحياة التى نمر بها.

(مثال ذلك):ـ يستطيع طفل أن يطلب تفاحة بسهولة فى عدة سياقات، ويظهر هذه القدرة فى «معرفة تحديد حروف الكلمة أو معرفة كلمة تفاحة، وفى معرفة شكل الكلمة (يقول الكلمة)، وفى معرفة السياق (مع أفراد مختلفين فى مواقف مختلفة وأماكن مختلفة) ومعرفة الوظيفة (يطلب طلبا)».. هذا الطفل يحب التفاح أولا وتعلم أن يطلب ويبحث عن التفاح بسهولة.

لكن عندما يرى المعلم الكمثرى فى طبق الفاكهة ويقرر أن يدرب هذا الطفل على أن يقول كلمة «كمثرى» ـ هذا المرة كانت تواجه الطفل مشكلة هائلة ولم ينجح فى ذكر كلمة كمثرى بعد عدة أسابيع من المحاولة.

ولكن ما هو السبب فى ذلك؟

لا يختلف تعليم الطفل نطق كلمة «كمثرى» كثيراً عن تعليمه نطق كلمة «تفاحة» الا أن الطفل لا يحب الكمثرى لذا فإنه عندما طلب منه نطق «كلمة كمثرى» لم يطلب منه أن يستخدم وظيفة اتصالية للطلب (التعليق على الكمثرى) وذلك كما هو الحال فى حالة «التفاح» ولكن طلب منه عمل تعليق واحد فقط.. كما لاحظنا من قبل يتضح أن وظيفة عمل التعليق من طفل التوحد تمثل وظيفة صعبة. فالمطلوب من صاحب التوحد أن يفهم اكثر من أن يطلب ولكن هذه لا تمثل المشكلة الأساسية. ولكن العقبة المركبة بالنسبة لهذا الطفل هى نطلب منه أن يتعلم شيئين فى نفس الوقت والشيئأن هما (تعلم حروف كلمة كمثرى، الاتصال الوظيفى لها أى (التعليق عليها).

وأفضل برنامج للتدريس، يمتلك فرصة نجاح أكثر هو الذى يدرس أولاً وظيفة الاتصال (التعليق على الاشياء) وتلخيص كل الوظائف الأخرى فى وظيفة واحدة هى (التعليق).. وبعد ذلك يتعلم الطفل أن ينطق كلمة «تفاح» عندما يأكل تفاحة (أو يأكل أكثر من واحدة إذا كان هناك احتمال أنه يرغب فى تناول اكثر من تفاحة فى نفس الوقت). وعندما ينطق طفل التوحد كلمة «تفاحة» يجب أن ندرب هذا الطفل على التعليق على تفاحة موجودة فى سلة أو فى شجرة أو يعلق على صورة لتفاحة فى كتاب، وسوف يكتشف المعلم أن الطفل لا يطبق هذا أو لا يعلق على التفاحة بشكل تلقائى كطلب يرغب فيه. وفقط عندما يكون الطالب قادراً على إظهار فهم لكلمة تفاح ويستخدمها كتعليق ويستخدمها بنفسه عندئذ نطلب من الطفل تعلم كلمة جديدة (مثل تفاحة) وتستخدم بنفس هذه الطريقة.

٥.تدريس الوظائف الاتصالية

Teaching Communiative Functions

من الوظائف الاتصالية السهلة التى يمكن أن نبدأ بها مع الأطفال أصحاب التوحد تعليمهم كيفية طلب شىء معين أو السؤال عن شىء (الطلب Request) ولتوضيح هذا الأمر بسهولة كما لاحظنا يمكننا أن نقول إن هذه الوظيفة يجب أن تكون أول الوظائف الاتصال بل وفى بعض المواقف تكون الوظيفة الاتصالية الوحيدة التى

يجب تطويرها لدى أصحاب التوحد. مثال ذلك الموقف الشائع فى اليوم المدرسى حيث يلتف المعلم والتلاميذ حول المنضدة لتناول مشروب معين أو قطع من الفواكه والبسكويت.. فى هذه الحالة يجب تدريب طفل التوحد على طرح السؤال الذى يطلب فيه شىء معين من المأكولات الموجودة على المنضدة بطريقة مهذبة تعتمد على (الإشارة ـ التحدث ـ العلامة) قبل أن يأخذ الطفل ذلك الشىء.

بالطبع يتضح لنا أن الاجراء السابق صحيح ولكن هل يستطيع تلاميذ التوحد تعلم الاتصال؟ حسنا: هم يستطيعون تعلم بعض مهارات الاتصال المناسبة، ويتعلمون ممارسة هجاء بعض الكلمات أو مفردات الكلمات، ويستخدمون كما تقدم نموذج للاتصال (المعلم عادة لا يتقبل هذه النقطة إذا كان طفل التوحد قادراً على الكلام أو قادراً على استخدام العلامة فى الإشارة لحل ما على سبيل المثال) كما يتعلمون استخدام نموذج وظيفى للاتصال داخل سياق معين (يساهم فى تحقيق الأهداف المطلوبة) ولكن كل هذا لا يساعد التلاميذ على اكتشاف موضوع الاتصال.

وما تعلمه التلاميذ فى هذا الموقف هو نظام معين يرتبط بسياق معين والبعض الآخر من التلاميذ لا يدرك أن عملية الاتصال قد حدثت، حيث يضع علامة أسفل المنضدة ثم يهمسون بطريقة غير مسموعة عن طلبهم بدون لفت نظر وانتباه الآخرين (يتحدث إلى الحائط) بدون إثارة المستمع. واذا رغب هؤلاء الأطفال فى الوجبة السريعة فما الخطأ الأكثر شيوعًا الذى يصنعه هؤلاء الأطفال؟ هؤلاء الأطفال يصلون إلى هدفهم لأخذ الوجبة السريعة دون توجيه أو طرح أى سؤال. وهذه تمثل إشارة عظيمة لما تعلمه هؤلاء الأطفال بالفعل. هذا الموقف يمثل أحد المواقف التى لا توجد فيها حاجة حقيقية للاتصال، فهم فقط يأخذون ما يرغبون فيه.

ويمكن من خلال منع طفل التوحد من العمل السابق ـ أخذ ما يرغب فيه بدون طلب ذلك ـ ومن خلال تدريس الثبات، الآداب والنظام، وانتظار الدور وكل هذه تمثل مهارات مفيدة ولكنها لا ترتبط مباشرة بموضوع الاتصال. ولكى ندرس عن الاتصال يجب على المعلم أن يتأكد أن الأطفال يحتاجون إلى نقل طلباتهم أو متطلباتهم من خلال الإبقاء على النظام الواضح للوجبة السريعة.

ولقد لاحظنا أنه لكى ندرس الاتصال فى مواقف تقوم على أساس الطلب، فإن الطريق الوحيد الذى يستطيع الأطفال من خلاله الحصول على ما يحتاجون إليه هو الاعتماد على فرد آخر.. وبنفس الطريقة فإن المعلم يحتاج إلى إيجاد حاجة اتصالية حتى يدرس أى وظيفة من الوظائف الاتصالية، وهذا يبدو أمراً صعبًا وأغلب الوظائف الاتصالية تتعلق بالتأثير على الحالات العقلية للآخرين أكثر من التأثير على السلوكيات. ويمثل التعليق Comment مثالاً لوظيفة اتصالية يمكن تدريسها بنجاح من خلال الاعتماد على اهتمامات التلاميذ (نبدأ من حيث المكان الذى يوجد فيه التلميذ وأن تستخدم سلوكاً تلقائياً لمحاولة استحضار الغرض من الاتصال).

ويمكن عمل هذا من خلال وضع شىء محبب للطفل داخل إناء مغلق موجود فى سلسلة من الأوانى الأخرى يتم عنونتها بطريقة ما مثال ذلك بواسطة صورة شىءً ما يعرفه التلميذ.

ثم يسأل التلميذ عن الشىء الخاص به ثم يطلب منه أن يحدد الإناء الذى يوجد فيه هذا الشىء بواسطة تحديد عنوان مناسب. وهذا يتكرر مع أنواع مختلفة من الآوانى بينها الإناء الصحيح الذى يوجد فيه الشىء المحبب للتلميذ ويوضع عليه نفس العنوان وبمرور الوقت يصبح لهذا العنوان معنى لدى الطفل وهكذا يجب تدريب الطفل على العنوان ورسم الأنتباه لهذا من خلال كتابة عنوان له ويقوم التلميذ بعمل التعليق على هذا العنوان.

٦.السلوك الارتجالى وسيلة اتصال:

Disruptive Behavior As Communication

تمثل عملية معالجة السلوكيات الارتجالية وسيلة مهمة للاتصال ودور هذا السلوك فى الاتصال هام أيضا لذا يجب فحص تلك السلوكيات الارتجالية.. والتفاصيل الأخرى ذات الصلة بهذا الموضوع يشار لها فى الفصل الخاص بإدارة السلوك.

منهج الاتصال التعويضى مقابل منهج الاتصال العلاجى

A Compensatoty Versus A Remedial Communication Curriculum

تبدو عملية تقسيم المهارات المركبة المطلوب التدريب على استخدامها فى

الاتصال عملية لا فائدة منها خاصة عندما لا يدرك التلاميذ طبيعة الاتصال فى نفس الوقت الذى يطلب منه تطبيق مجموعة من النظم التى تعملها (وحتى لو كانت تلك النظم مفيدة ومرنة).

وبسبب قصر فترة التدريس، وبسبب عدم إدراك التلميذ لطبيعة الاتصال يقترح بعض التربويين تعليم التلاميذ بعض المهارات التعويضية الموازية لمهارات الاتصال بالاضافة إلى تطوير فهم التلميذ لعملية الاتصال ـ لذا يجب على المعلم أن يدرب التلميذ كيفية التعبير عن الحلول والبدائل وأن يدربه على الفهم حتى يستطيع أن ينفذ مهام التعلم بطرق مستقله وذلك كما هو الحال فى برنامج TEACCH الذى يعتمد على إستخدام الرموز البصرية وعوامل الاتصال غير اللفظية لتحقيق أهداف الاتصال والجدير بالذكر أن هذه الرموز تتسم بأنها واضحة ومفهومة وتزود الأفراد بطرق مختلفة لاظهار حاجاتهم وبالتالى تحسين نوعية حياة هؤلاء الأفراد.

ويمثل برنامج TEACCH أحد الأمثلة الهامة للمدخل التعويضى وأحد اشكاله الناجحة إلا أنه لا يمكن الأفراد من فهم عملية الاتصال نفسها ـ ولما كان المعلمون والولدان يحتاجون إلى علاج مشكلات الفرد المرتبطة بعملية الاتصال نفسها فإن استخدام برنامج TEACCH لا يكفى بالنسبة للعديد من المعلمين وأولياء الأمور.

فالبعض يحاول علاج مشكلات الفرد المرتبطة بالاتصال من خلال وسائل تربوية تعتمد على تدريس الاغراض من الاتصال، ومداخل التعلم فوق المعرفى لتشجيع الأفراد للوصول إلى أقصى درجة من الوعى بحالاتهم العقلية الخاصة بهم وتشجيعهم على فهم الحالات العقلية للآخرين، ونأمل أن يساعد هذا فى فهم مفاهيم الاتصال المحورية مثل:ـ الإدراك المشترك ـ والمعرفة المشتركة.

ولم تظهر أى من المداخل العلاجية نجاحًا واضحًا، وفى الوقت نفسه كانت أغلب المدارس تهدف إلى ربط المداخل العلاجية بالمداخل التعويضية:ـ وتمثل عملية تدريس الاتصال عملية أو مهمة صعبة يمكن أن تعالج بسهولة فى المواقف غير الرسمية أفضل من معالجتها فى المدارس التقليدية، كما تمثل عملية تدريس الاتصال أحد المحاور الهامة فى تعليم الأطفال وهناك مثال آخر فى تربية التلاميذ أصحاب التوحد

الذى يكون فيه الاتصال والتعاون القريب مع الوالدين عناصر أساسية مثال ذلك فى المواقف غير الرسمية حيث يصبح للغة العديد من الأغراض والتى تأخذ فى اعتبارها حاجات التلاميذ.

الاستنتاج Conclusion

يقع الاتصال فى محور مشكلة التوحد لذا يجب أن يكون الاتصال فى قلب أى مدخل تربوى فعال لتعليم الأطفال أصحاب التوحد. وتشير طبيعة المشكلة إلى أنه لا توجد حلول سهلة، ولكن توجد طرق تدعو للتفاؤل.. فنحن نحاول أن نظهر فى هذا الفصل إلى أى مدى يكون من الهام أن نراعى التحدى الفعلى لما يعتمد عليه الاتصال قبل أن نركز على استراتيجيات ترتبط باللغة.